الفصل الثاني

توزيع العناصر السكانية في الشام بعد الفتح

من الأمور التي تسترعي انتباه الباحث حين يتتبع حركة الهجرات القبلية، أن القبائل لم تسر في هجرتها وفق خطة موضوعة تحدد لكل قبيلة خط سيرها وموطن نزولها، وذلك لارتباط هذه الهجرات أول الأمر بحركة الفتح، فالقبائل التي تندب لفتح قطر كان الأمر ينتهي بها غالباً إلى الإستقرار فيه، وهي لذلك كانت خليطاً من قبائل شتى، فإذا نزلت هذه القبائل أحد المواطن لتستقر به احتلت كل قبيلة خطة لها فيه، وبعد استقرار القبائل في خططها ربما لحقت بها جماعات أخرى، فتنزل كل جماعة في خطة قبيلتها ثم تندب القبائل لفتح مناطق أخرى فتفد من الجزيرة العربية موجات قبلية جديدة، وقد تنضم إليها جماعات من القبائل التي سبقت هجرتها، فإذا حققت الحملة الجديدة غايتها من الفتح التمست لها موطناً تستقر فيه، وهكذا نجد أن حركة الاستيطان القبلي لم تكن تسير وفق خطة ملتزمة، وهذا يفسر لنا نزول بطون القبيلة الواحدة مواطن شتى، ولو أن هذه الهجرات لم تكن مرتبطة بحركة الفتح لكان من المحتمل أن نجد القبيلة برمتها في موطن واحد حرصاً على وحدتها وسلامتها، ومن ثم كان لهذه الهجرات الجماعية ولاستيطان قبائل العرب الأمصار المحدثة والأقطار المفتوحة آثار بعيدة المدى في حياة العرب الاجتماعية عامة وفي المجتمع القبلي خاصة، ومن أبرز هذه الآثار اتساع نطاق التجمع القبلي في إطار روابط النسب الواسعة كالعدنانية والقحطانية، والمضرية والربعية، ومنها تصدع الوحدة القبلية لأن القبيلة الضخمة العدد قلما كانت تنزل برمتها في موطن واحد، وإنما كانت تتفرق بطونها في مواطن متعددة.

وكانت جيوش المسلمين التي قدمت لفتح بلاد الشام نواة القبائل التي استوطنت الشام ومصر بعدئذ، وليس بين أيدينا احصاء تاريخي دقيق يرشدنا إلى معرفة القبائل العربية التي نزلت بلاد الشام وعددها عند الفتح وبعده، إلا أننا نستطيع استخلاص احصاء تقريبي للقبائل العربية التي كانت بالشام بعد الفتح عن طريق تتبع جيوش الفتح والامدادات واعتماداً على أخبار الوقائع التي جرت بين المسلمين إبان الفتنة الأولى والثانية والثالثة، واعتماداً على ما نجده في بعض المصادر التاريخية، ففي كتاب الفتوح للبلاذري، نجد أن أبا بكر عقد لكل أمير في بادىء الأمر على ثلاثة آلاف رجل، فلم يزل أبو بكر يتبعهم الامداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة، ثم تتام جمعهم بعد ذلك أربعة وعشرين ألفاً[1]. وعن عبد الرحمن بن جبير أن أبا بكر جهّز الجيوش إلى الشام فاجتمع له أربعة وعشرون ألفاً من المهاجرين والأنصار ومسلمة الفتح وامداد اليمن وأهل العالية[2]، وفي رواية الطبري أنه قدم على أبي بكر أوائل مستنفري اليمن ومن بين مكة واليمن وفيهم ذو الكلاع، وقدم عليه عكرمة قافلاً وغازياً فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين[3]، ونجد لدى إبن الأعثم تفصيلاً لمن توجه مع عمرو بن العاص إلى الشام بعد أن عسكر بإزاء المدينة، فقد خرج إليه سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وابن أخيه عكرمة بن أبي جهل في ثلاثة آلاف فارس من قومهم ومواليهم، وخرج إليه أبو الأعور السلمي، ومعن بن يزيد إبن عمه في ألف وسبعمائة فارس، وخرج إليه الضحاك بين قيس الفهري في ثلاثمائة وعمير بن حرام المرادي في مائتي فارس[4].

وما أن دخلت جيوش المسلمين أرض الشام حتى كتب أبو عبيدة يخبر الخليفة أن هرقل قد نزل أنطاكية وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم وأنه قد اجتمع إليه منهم خلق كثير يزيدون عن ثمانين ألفاً سوى ما في سائر المدن بالشام من الخيل والجنود[5]،

(١) البلاذري، فتوح، ص ١١٦، تهذيب تاريخ دمشق، ج ١ ص ١٣١، ١٣٢.
(٢) تهذيب، ج ١ ص ١٣٣.
(٣) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٩، ابن حبيش، الفتوح، ص ١١٩.
(٤) ابن الأعثم، فتوح، ج ١ ص ١٢٣.
(٥) ابن الأعثم، فتوح، ج ١ ص ١٠١.

فأمده أبو بكر بهاشم بن أبي عقبة بن أبي وقاص الذي انضم إليه خلق كثير من همدان وأسلم وغفار ومزينة ومراد والأزد وجميع القبائل[٦]، ثم لا يلبث أبو بكر أن يطلب من خالد بن الوليد التوجه إلى الشام لدعم إخوانه هناك، وهنا تختلف الروايات في عدد المقاتلة، فالبلاذري يذكر أن خالدا سار من العراق في ثمانمائة ويقال في ستمائة ويقال في خمسمائة[٧]، أما الطبري في رواية السرى عن شعيب عن سيف، فيشير إلى أنه قدم على المسلمين في تسعة آلاف[٨]، بينما ذكر ابن الأعثم أن خالدا جمع أصحابه الذين قدم بهم من الحجاز واليمامة، فكانوا سبعة آلاف فارس فخرج بهم خالد من الحيرة متوجها إلى الشام[٩]. وأعتقد أن الروايتين اللتين يوردهما الطبري وابن الأعثم أقرب إلى المنطق والواقع، إذ لا يعقل أن يطلب أبو بكر من خالد أن يتوجه لمساعدة المسلمين في الشام فيمدهم بهذا العدد الضئيل. ونتيجة لهذا الاختلاف في عدد المقاتلة الذين قدموا مع خالد اختلفت الروايات تبعاً لذلك في عدد المقاتلة المسلمين في معركة اليرموك، فهم أربعة وعشرون ألفاً عند البلاذري[١٠]، وستة وثلاثون ألفاً عند الطبري بانضمام خالد إليهم[١١]، أما ابن الأعثم فيشير إلى أن عساكر المسلمين التي اجتمعت بدمشق وقبل موقعة اليرموك كانوا سبعة وثلاثين ألفاً، ثم قدم عليهم عامر بن حذيم في ثلاثة آلاف فصار المسلمون في أربعين ألفاً[١٢]، ولم يلبث أن وصل مدد آخر من الخليفة بقيادة سويد بن الصامت «ممن كان بالمدينة ممن يصلح أن يوجه به إلى العدو فعرضهم فكانوا ثلاثة آلاف»، فكان عدد المسلمين الذين اشتركوا في معركة اليرموك ثلاثة وأربعين ألفاً[١٣]. أما القبائل التي اشتركت في معركة اليرموك، فيرد ذكر لها في تاريخ

---

(٦) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٤، هذه القبائل المذكورة كلها يمانية، فهمدان من قبائل كهلان، وأسلم من بطون خزاعة من الأزد من الخزرج ومراد من بطون مذحج، والأزد من أعظم قبائل كهلان، (ابن عبد ربه ج ٣ ص ٣٨٩، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩٨، ٣٧٥.

(٧) البلاذري، فتوح ص ١١٨.

(٨) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٤.

(٩) ابن الأعثم، فتوح ج ١ ص ١٣٤.

(١٠) البلاذري، فتوح ص ١٤١.

(١١) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٤.

(١٢) ابن الأعثم، فتوح، ج ١ ص ٢٢٨.

(١٣) ابن الأعثم، فتوح، ج ١ ص ٢٣٤.

دمشق ومخطوطة ابن حُبيش، فقد شكل الأزد وفق هذه الرواية ثلث الناس، وفيها حمير وهمدان ومذحج وخولان وخثعم وفيها كنانة وقضاعة وجذام وكندة وحضرموت، وليس فيها أسد ولا تميم ولا ربيعة لأن تلك الأماكن لم تكن دارهم وإنما كانت دارهم عراقية، فقاتلوا أهل فارس بالعراق، وفي معركة اليرموك استحر القتل في الأزد فأصيبوا بما لم يقتل مثله من القبائل[١٤]. ونلاحظ من هذه الرواية ومن مواطن القبائل فيما بعد أن القبائل اليمانية كانت تؤلف الأكثرية في هذا الجيش ولعبت الدور الأكبر في فتوح الشام، ذلك أن القبائل كانت تفصح في بعض الأحيان عن إيثارها منطقة دون أخرى وقتال قوم من المشركين دون آخرين، ووراء هذا الاختيار تكمن نزعات قبلية وعوامل أخرى تتصل بالبيئة والجوار والعادات المألوفة وغير ذلك، وعندما سأل عمر سروات بجيلة ووفده: «أي الوجوه أحب إليكم؟» قالوا: «الشام، فإن أسلافنا بها». «فقال: «بل العراق فإن الشام في كفاية». فلم يزل بهم ويأبون حتى عزم على ذلك وجعل لهم ربع خمس ما أفاء الله على المسلمين إلى نصيبهم من الفيء[١٥]، وحين أراد عمر ندب الناس مع سعد بن أبي وقاص أراد أهل اليمن من النخع التوجه إلى الشام وكرهوا المسير إلى العراق، فاضطر عمر إزاء إصرارهم إلى توجيه نصفهم إلى العراق والنصف الآخر إلى الشام[١٦]. ولوحظ بصورة عامة أن أهل اليمن كانوا ينزعون إلى الشام، ومضر تنزع إلى العراق[١٧]. ونظراً لنزول القبائل الربعية منذ العصر الجاهلي على حدود فارس، ولما كان لها من تجارب سابقة في قتال الفرس، لم يكن أجرأ على فارس من ربيعة[١٨]، ومن ثم كانت طلائع جيوش العرب في قتال أهل فارس كلها من هذه القبيلة[١٩]، وعندما توجه سعد بن أبي وقاص إلى العراق لحرب الفرس كان المثنى في ثمانية آلاف من ربيعة، ستة آلاف من بكر بن وائل وألفان من سائر ربيعة[٢٠].

---

(١٤) تهذيب تاريخ دمشق، ج ١ ص ١٦٣، ابن حبيش، الفتوح، ص ١٧٤.
(١٥) الطبري، ج ٣ ص ٤٦٢.
(١٦) المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٨٤.
(١٧) المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٨٧.
(١٨) الطبري، ج ٣ ص ٤٨٧.
(١٩) البلاذري، فتوح، ص ٢٤٢.
(٢٠) الطبري، ج ٣ ص ٤٨٦.

كانت القبائل العربية الوافدة إلى بلاد الشام تتفرق في حواضرها وتنزل المنازل التي جلا عنها أهلها أو يقاسمونهم منازلهم أحياناً[٢١] ، وكانت المدن أحياناً تقسم خططاً بين المسلمين كما فعل السمط بن الأسود الكندي بحمص[٢٢] ، أما الطبري[٢٣] ، فيشير إلى أن أبا عبيدة عندما صالح أهل حمص أنزلها السمط بن الأسود الكندي في بني معاوية[٢٤] ، والأشعث بن مئناس في السكون[٢٥] والمقداد بن الأسود في بلي[٢٦] ، ورتب أبو عبيدة ببالس جماعة من المقاتلة وأسكنها قوماً من العرب الذين كانوا بالشام فأسلموا بعد قدوم المسلمين الشام ، وقوماً لم يكونوا من البعوث نزعوا من البوادي من قيس[٢٧] ، كما نجد اهتماماً بالغاً بإسكان المقاتلة المدن الساحلية ، إذ كتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة ويجعلهم مرابطة[٢٨] ، واهتم معاوية بشكل خاص سواء في خلافة عمر أو في خلافة عثمان عندما ولي الشام والجزيرة بالمدن الساحلية وشحنها بالمقاتلة كما فعل باللاذقية[٢٩] ، وبأنطرطوس وبانياس[٣٠] ، وعن الواقدي عن مشايخ من أهل الشام أن معاوية رم عكا عند ركوبه إلى قبرص ورم صور ، وأنهم نزلوا صور والسواحل وبها جند من العرب وخلق من الروم ، ثم لم يلبث أن نزع إليهم أهل بلدان شتى فنزلوها معهم وكذلك جميع السواحل[٣١] .

وعندما حدثت الأحداث بالمدينة في خلافة عثمان ، خرج منها رجال إلى الأمصار مجاهدين ، فمنهم من أتى البصرة ومنهم من أتى الكوفة ومنهم من أتى الشام ، وقد

---

(٢١) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٤٤ .
(٢٢) البلاذري ، فتوح ، ص ١٣٧ .
(٢٣) الطبري ، ج ٣ ص ٦٠١ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٤٩٢ .
(٢٤) بنو معاوية من كندة من قبائل اليمن ، (ابن عبد البر ، الانباه على قبائل الرواة ص ١١٣ ، ١١٤) .
(٢٥) السكون من كندة كذلك ، (ابن عبد البر ، المصدر السابق ص ١١٥) .
(٢٦) بلي من قضاعة ، (ابن عبد البر ، المصدر السابق ص ١٢٢) .
(٢٧) البلاذري ، فتوح ، ص ١٥٥ .
(٢٨) البلاذري ، فتوح ، ص ١٥٣ .
(٢٩) المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
(٣٠) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
(٣١) المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

بقي من كان بالشام بينما رجع الباقون جميعاً إلى المدينة[٣٢]، وبعد مقتل عثمان خرج ربيعة بن عاصم العقيلي مع قبيلته قيس من الكوفة يريدون معاوية، فمر بالجزيرة هو وقيس، فرأوا بلاداً خصيبة ريفية ومزدرعاً واسعاً وقلة أهل، فلما وصلوا إلى معاوية ردّهم إلى أرض الجزيرة وأسكنهم بها[٣٣]، كما ترك بنو الأرقم بن النعمان بن عمرو من آل كندة الكوفة وتوجهوا إلى معاوية لأنهم كانوا عثمانيين وقالوا: «لا نقيم ببلد يسب فيه عثمان»، فأنزلهم معاوية الرها[٣٤]. إذ أن معاوية في خلافة عثمان كان والياً على الشام والجزيرة وثغورهما[٣٥] وكانت الجزيرة في خلافة معاوية تابعة إدارياً إلى قنسرين، ثم جندها عبد الملك، فصار جندها يأخذون أعطياتهم من خراجها[٣٦]، وكذلك نزل خالد بن عقبة ابن معيط الجزيرة أثناء الفتنة وولده بها[٣٧].

ويؤخذ من تعداد ألوية القبائل التي كانت مع معاوية يوم صفين ومن تعبئة جيشه أن جلّ من قاتل معه كانوا من القبائل اليمانية والقضاعية، والعنصر الغالب في القبائل المضرية التي كانت معه هو العنصر القيسي، أما ربيعة فلم يكن في جيش معاوية أحد منها أو كانوا قلة لا يعتد بها، وأبرز القبائل التي شاركت في القتال معه، حمير وقضاعة (كلب، بهراء، تنوخ، لخم، وجذام) وهمدان وخثعم، وغسان ومذحج وعك والأشعريين وكندة والأزد[٣٨]، ويبدو أن الأزد كانوا يشكلون نسبة كبيرة في الشام كما نستخلص من قول معاوية لرجل طلب منه أن يجعله حيث شاء فقال: «عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة الكثير عددها[٣٩]».

وفي أثناء الفتنة الثانية عندما نزل عبد الله بن الزبير دار البلاط بمكة وجعلها دار

---

(٣٢) الطبري، ج ٤ ص ٣٩٨.

(٣٣) المصدر السابق، ج ٤ ص ٣٩٨، تهذيب، ج ٥ ص ٣٠٧.

(٣٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٠.

(٣٥) البلاذري، فتوح، ص ١٨٣، ١٨٨، ١٨٩.

(٣٦) المصدر السابق، ص ١٣٨.

(٣٧) الكلبي، جمهرة النسب، مخطوطة في مركز الوثائق والتوثيق، الجامعة الأردنية رقم ٣٨٢، ص ١٧ آ.

(٣٨) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، القاهرة، ١٣٦٥هـ/ص ٢٣٢، ٢٩٩. خليفة بن خياط ج ١ ص ٢٢٢، الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٧٢.

(٣٩) الأغاني، ج ١٦ ص ٤٠١.

إمارته، تفرّقَ من كان بمكة من شيعة بني أمية خوفاً على أنفسهم فصاروا إلى الشام[٤٠]. كما أخرج أهل المدينة من كان مع عمرو بن سعيد بن العاص من بني أمية[٤١].

ويظهر أن عدد القبائل كان يتزايد منذ نزولهم بلاد الشام تزايداً سريعاً، فقد بلغ عدد المسجلين في ديوان العطاء في حمص في خلافة مروان بن الحكم من اليمانية فقط عشرين ألفاً[٤٢]، وفي ديوان دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك خمسة وأربعين ألفاً[٤٣]، وبلغ أهل دمشق من العرب أربعاً وثمانين ألفاً في سنة ١٢٦ هـ ومقاتلتهم خمسين ألفاً[٤٤]. وكان عدة بني عامر من كلب عشرين ألف رجل[٤٥]، ولا شك أن هذه الأرقام لا تمثل العرب الوافدين إلى بلاد الشام وحدهم وإنما تمثل أيضاً من انضم إليهم من العرب الذين كانوا ينزلون هذه البلاد قبل الفتح ثم أسلموا وانضموا بعد ذلك إلى جيوش المسلمين.

واتبع في توزيع القبائل العربية في الشام وتجنيدها نظام يختلف عن نظام الأخماس والأسباع الذي اتبع في العراق، وهو نظام الأجناد، فقد وزعت الجيوش العربية أجناداً تعسكر قرب مدن الشام الرئيسية، وكل جند كان ينسب إلى المكان الذي هو فيه، لا إلى القبائل التي يتألف منها، فيقال، جند دمشق وجند الأردن وجند قنسرين ونحو ذلك، وبينما نجد عمر يكتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ومساجد للقبائل، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة، ويكتب إلى سعد بن أبي وقاص على الكوفة وإلى عمرو بن العاص في مصر بمثل ذلك، فإننا نراه يكتب إلى أمراء الأجناد في الشام ألا يتبددوا إلى القرى وأن ينزلوا

---

(٤٠) ابن الأعثم، فتوح، ج ٥ ص ٢٠٩.
(٤١) المصدر السابق، ج ٥ ص ٢٠٩.
(٤٢) الأغاني، ج ١٦ ص ٣٤.
(٤٣) مؤلف مجهول، اليعون والحدائق في أخبار الحقائق، ص ٥.
(٤٤) الطبري، ج ٧ ص ٢٦٧، تهذيب، ج ٧ ص ٦٢.
(٤٥) الطبري، ج ٧ ص ٢٨٢.

المدائن وأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً ولا تتخذ القبائل مساجد، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده[٤٦].

أما مواطن القبائل العربية بالشام بعد الفتح فنستطيع تحديدها على وجه التقريب اعتماداً على ما انتهى إلينا من المصادر التاريخية والجغرافية، ففي فلسطين استقرّت قبائل من لخم وجذام[٤٧]، وعاملة وكندة وقيس وكنانة[٤٨]، وفي الأردن نجد بطونا من غسّان ومذحج وهمدان وكلب والسكاسك والسكون[٤٩]، وأغلب القبائل التي نزلت دمشق كانت من اليمانية إلى جانب قلة من قيس، وقريش، بينما نزلت قبائل قيسية ولا سيما بني مُرَّه في الغوطة وحوران والثنية وفي الظاهر والغور والجولان ووجدت غسّان في الغوطة وكلب في السويداء[٥٠]، وجل أهل حمص كانوا يمانية قضاعية، من طيء وكندة وحمير وهمدان وكلب وبهراء وتنوخ مع قلة من قيس، وإياد في جبلة وفي صوران وتلمنّس[٥١]. ولكثرة القبائل اليمانية في جند حمص ضرب المثل بذلة القيسي فيها[٥٢]، وكانت مواطن قيس قنسرين وما حولها[٥٣]، بالإضافة إلى تنوخ وطيء[٥٤]. واحتلت قبيلة كلب البقاع ودعي بقاع كلب، ومنهم بنو عامر الذين نزلوا المرج الفلسطيني المنسوب إليهم (مرج ابن عامر[٥٥]).

---

(٤٦) المقريزي، الخطط، دار التحرير للطباعة والنشر عن طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ ج ٣ ص ١٠٥
E.I. ed. 1936. Art., Masdjid.

(٤٧) البلاذري، أنساب الأشراف، مؤسسة الدراسات الشرقية، الجامعة العبرية، القدس ١٩٣٦ ج ٥ ص ١٢٨.

(٤٨) خليفة بن خياط ج ١ ص ٢٢٢، اليعقوبي، البلدان، ليدن ١٨٩١ م ص ٣٢٩. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٥، ٣٩٦.

(٤٩) خليفة ج ١ ص ٢٢٢، الطبري ج ٥ ص ٥٣٥، ٥٤٧، المسعودي، مرج الذهب ج ٣ ص ٢٤٩.

(٥٠) اليعقوبي، البلدان ص ٣٢٥، ٣٢٦، تهذيب تاريخ دمشق، ج٧ ص ١٨٩.

(٥١) اليعقوبي، البلدان ٣٢٤، خليفة، ج ١ ص ٢٢٢، البلاذري، أنساب، ج ٥ ص ١٤٧.

(٥٢) أبو الفضل النيسابوري، مجمع الأمثال، القاهرة، ١٣٥٢ هـ. ج ١ ص ٢٩٤.

(٥٣) الطبري، ج ٥ ص ٥٣٥، ٥٣٨.

(٥٤) البلاذري، فتوح ص ١٥٠، ١٥١، المسعودي، مروج الذهب، ج ٣ ص ٢٤٩.
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٠٤.

(٥٥) تهذيب، ج ٣ ص ١٧٩، الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ١، القسم الأول ص ٧١٤.

أما منطقة الساحل فنظراً لعدم تجاوب أهلها في بادىء الأمر لتأثرهم بالصبغة الرومية، فقد اضطر معاوية إلى نقل قوم من فرس بعلبك وحمص وأنطاكية إلى سواحل الأردن وصور وعكا سنة ٤٢ هـ[٥٦]، ونقل من أساورة البصرة والكوفة إلى أنطاكية[٥٧]، ونقل سنة ٤٩ أو سنة ٥٠ هـ قوماً من زط البصرة والسيابجة[٥٨] إلى سواحل أنطاكية[٥٩]. وأسكن معاوية جماعة كبيرة من يهود الأردن طرابلس[٦٠]، ويذكر اليعقوبي أن كورة عرقة فيها قوم من الفرس ناقلة، وكذلك طرابلس أهلها قوم من الفرس، كان معاوية بن أبي سفيان نقلهم إليها، وكذلك جبيل وصيدا وبيروت، فأهل هذه الكور كلها قوم من الفرس نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان[٦١].

وأقطع عبد الملك فرس بعلبك الخمس في مدينة طرابلس، فسكنوها وسكنوا غيرها من مدائن الساحل[٦٢]، ونقل الوليد بن عبد الملك إلى أنطاكية قوما من زط السند ممن حملهم محمد بن القاسم إلى الحجاج، فبعث بهم إلى الشام. وفي القرن الثالث الهجري كان بأنطاكية محلة تعرف بالزط وببوقا من عمل أنطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزط[٦٣]، ومما يثير الانتباه أن سكان جند دمشق الساحلية كان معظمهم من الفرس واليهود، بينما يشكل العرب الأكثرية الساحقة في كور جند حمص الساحلية، فقد سكن مدينة اللاذقية قوم من يمن وسليح وزبيد وهمدان وبحصب، كما

---

(٥٦) البلاذري، فتوح، ص ١٢٤.

(٥٧) المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٥٨) السيابجة قوة فارسية كانت عند البحرين والخط والطفوف، (الطبري، ج ٣ ص ٣٠٤). وينقل كايتاني رأي دي غويه أن السيابجة أصلهم من الهند، وجزر الهند الشرقية وأنهم كانوا يقومون بالملاحة بين ساحل الخليج الفارسي وشرقي آسيا.

Caetani, L. Annali dell Islam, Milan, Vol. III P.920.

(٥٩) البلاذري، فتوح، ص ١٦٦، ٣٦٩.

(٦٠) البلاذري، فتوح ص ١٣٣، اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٣٣، ابن الأثير، ج ٢ ص ٤٣١.

(٦١) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٢٧.

(٦٢) تهذيب، ج ٦ ص ١٨٧.

(٦٣) البلاذري، فتوح، ص ١٦٦، ٣٦٩.

سكنت همدان في مدينة جبلة مع قوم من إياس ومن إياد، وأهل أنطرطوس كانوا من كندة، في حين أن مدينة بلنياس فقط كان أهلها أخلاط[٦٤].

أما الجَراجِمة الذين كانوا يقطنون الجُرجومة من جبل اللُّكام، فقد تفرّق قسم منهم في خلافة عبد الملك بن مروان بقرى حمص ودمشق، أما أكثريتهم فقد رجعوا إلى مدينتهم باللُّكام بعد ثورتهم والقضاء عليها. وفي عهد الوليد بن عبد الملك أخرب مسلمة بن عبد الملك مدينتهم لكثرة ما كانوا يكاتبون الروم ويمالئونهم، وأسكنهم جبل الحوّار وعمق تيزين[٦٥]، وصار بعضهم إلى حمص ونزل بطريق الجُرجومة في جماعة معه أنطاكية ثم هرب إلى بلاد الروم، ويبدو أن بعضهم بقي مقيماً في أنطاكية[٦٦]، أما تيوفانس فيذكر أن جستنيان الثاني نتيجة للصلح الذي عقده مع عبد الملك نقل ١٢ ألف من المردة وأسكنهم آسيا الصغرى[٦٧].

هذه صورة للعناصر السكانية في بلاد الشام في صدر الإسلام، وهي تشير بوضوح إلى أمرين، أولهما أن العنصر العربي قد أصبح الغالب بعد هجرة الروم بحيث أن اليعقوبي الذي زار هذه المنطقة في القرن الثالث الهجري، لا يذكر الروم على الاطلاق، وإنما يطلق اسم العجم عليهم، ولا نجد لهم ذكرا في الأجناد الشمالية وإنما في جندي الأردن وفلسطين فقط حيث يذكر وجود العجم في عكا وقدس وبيسان، وفحل وجرش من كور الأردن، وفي كورة إيلياء ولد وعمواس من جند فلسطين. أما الأمر الثاني فهو أن قبائل قضاعة[٦٨] واليمن كانت تستوطن الجانب الأكبر من بلاد الشام، ولما كانت قضاعة وكلب خاصة هي أضخم الكتل القبلية في بلاد الشام في العصر

---

(٦٤) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٢٥.

(٦٥) عمق تيزين، تيزين قرية كبيرة من نواحي حلب، كانت تعد من أعمال قنسرين ثم صارت في أيام الرشيد من العواصم مع منبج وغيرها (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٢ ص ٦٦).

(٦٦) البلاذري، فتوح ص ١٦٥، ١٦٦.

(٦٧) Sir George Hill, The History of Cyprus, Vol.II P.286.

Archibald Lewis, Naval Power & Trade in the Mediterranean P.80.

(٦٨) قبائل قضاعة، كلب، تنوخ، بلي، بهراء، خولان، أسلم، جهينه، عذره، نهد، بنو القين، سليح، ابن عبد البر النمري، الانباه، ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٣ اليعقوبي، تاريخ ج ١ ص ٢٠١.

الأموي، كان انحياز هذه الكتلة إلى أي حزب سياسي خليقاً بترجيح كفته وبمنحه تأييداً حربياً وسياسياً له شأوه، وكذلك كان انحياز هذه القبيلة إلى إحدى الكتلتين العدنانية والقحطانية خليقاً بترجيح كفتها العددية، وباختلال ميزان القوى القبلية. ومن هنا إحتدم النزاع حولها وتجاذبتها العدنانية والقحطانية، وقام نسابو كل من الكتلتين والاخباريون فيهما بمحاولات كثيرة منذ مستهل العصر الأموي حتى منتصف العصر العباسي في ضم هذه القبيلة إلى شجرتهم النسبية، وذهب بعض نسابي اليمن إلى أن قضاعة نسبت إلى معد أيام العصبية، وفي زمن معاوية وابنه يزيد بوجه خاص، وأن معاوية وابنه بذلا لرؤساء قضاعة أموالاً جسيمة لقاء الانتفاء من اليمن والانتساب إلى معد، ولكن قضاعة كما يبدو تغضب غضباً شديداً لشيوع هذا القول وتنكره أشد الانكار، ثم تجمع جموعها وتدخل مسجد دمشق يوم الجمعة وهي ترتجز بقول شاعرها:

يا أيها الداعـــي ادعنـــا وبشر
وكـــن قضاعيـــاً ولا تنـــزر
نحن بنـو الشيخ الهجـان الأزهـر
قضاعـــــة بن مالك بن حمير
الـنسب المعـروف غير المنكـــر
من قال قولاً غير ذا يبصر[٦٩]

ويرد الشرقي بن القطامي ومحمد بن حبيب هذا الاضطراب في نسب قضاعة إلى الحرب التي ثارت بين قيس وكلب إثر معركة مرج راهط، فيذكر أن خالد بن يزيد أشار على أخواله من كلب بمحالفة اليمن والانتساب إليهم لاذلال بني مروان ومن انحط في هواهم من قيس، فأجابه إلى ذلك بعضهم وعصاه آخرون، فكان بعضهم يقولون

(٦٩) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١ ص ١٨، وينسب هذا الرجز إلى أفلح بن يعبوب القضاعي، نشوان الحميري، منتخبات في أخبار اليمن، ليدن ١٩١٦، تحقيق عظيم الدين أحمد ص ٨٧.

حالفنا اليمن وبعضهم يقول بل نحن منهم[٧٠]، كما يذكر الشرقي بن القطامي أن أول من ألحق قضاعة بحمير عمرو بن مرة الجهني، وكانت له صحبة وسابقة في الإسلام وطاعة في قومه[٧١]، ولكي يؤيد كل فريق دعواه عمد إلى وضع الأحاديث على لسان الرسول، فوضعت نزار حديثاً ينسب فيه الرسول قضاعة إلى معد بل يجعله بكر ولده[٧٢] ووضع أهل اليمن أحاديث تنقض هذا القول وتؤيد نسبة قضاعة إلى حمير[٧٣]، وكذلك دعم الفريقان دعواهما بأبيات من الشعر لشعراء قدماء ومحدثين.

ولقد لاقى القول بانتماء قضاعة إلى حمير والجذم اليماني هوى في نفوس القضاعيين، لأن في انتسابهم إلى حمير ذات الماضي العريق في الحضارة والملك ما يرفع من شأنهم عند مفاخرة القبائل النزارية، فأخذ الشعراء يؤكدون هذه النسبة في أشعارهم ويفخرون بنسبهم اليماني، وأجابهم شعراء نزار ساخرين تارة ومعاتبين أخرى[٧٤].

ومن القبائل التي تنازعتها القحطانية والعدنانية أيضاً، جذام، وهي عند نسابي اليمن قحطانية النجار، ولكن نسابي مضر يدّعون أن جذام هو ابن أسدة بن خزيمة أخي أسد ويحتجون على دعواهم ببيتين ينسبونهما إلى امرىء القيس أو لبشر بن أبي خازم الأسدي[٧٥]، ويبدو أن القول بانتماء جذام إلى مضر، إنما شاع كذلك في العصر الأموي، وأن بني أمية أرادوا تألف هذه القبيلة التي كان لها عدد وقوة بالشام، فأغروا بعض رؤسائها بالانتماء إلى معد، ووافقهم في ذلك روح بن زنباع الجذامي والشاعر العاملي عدي بن الرقاع، ولكن هذا النبأ ما كاد يبلغ أسماع الجذاميين المتعصبين لأصلهم اليماني حتى قدموا على يزيد وعلى رأسهم سيدهم ناتل بن قيس الجذامي الذي

---

(٧٠) ابن عبد البر، الأنباه ص ٦٠، ٦١.

(٧١) ابن عبد البر، الأنباه ص ٦٠.

(٧٢) المصدر السابق، ص ٥٩، البلاذري، أنساب، ج ١ ص ١٦.

(٧٣) المصدر السابق، ص ٦٠.

(٧٤) المصدر السابق، ص ٦٢.

(٧٥) المصدر السابق، ص ١٠٤، البلاذري، أنساب، ج ١، ص ٣٦.

أعلن أنهم يمانون من قحطان وأنهم ليسوا بمتخلين عن نسبهم وشتم روحا لمحاولته نسبة قومه إلى غير أصلهم واضطر روح إلى التراجع، وكذلك رجع عدي بن الرقاع العاملي عن مقالته، وقال في تأكيد نسبته إلى قحطان أبياتاً منها قوله:

قحطان والدنا الذي ندعى له
وأبو خزيمة خندف بن نزار[٧٦]

وما قيل في جذام قيل مثله في أختها لخم، فقد جعلها نسابو مضر معدية وقرنها أكثرهم بجذام في انتمائها إلى أسدة بن خزيمة بن مدركة، وذهب بعضهم إلى أن قنص ابن معد هو أبو لخم وأيدوا قوله بما نقلوه عن النسابة القرشي جبير بن مطعم من نسبته ملك الحيرة اللخمي، النعمان بن المنذر، إلى أشلاء قنص بن معد[٧٧]. ويظهر أن القحطانية لما فاخروا العدنانية بملوكهم في الجاهلية ادّعت العدنانية هذه الدعوى لتضم إلى شجرة نسبها آل نصر ملوك الحيرة ولا سيما النعمان بن المنذر الذي كان لاسمه صيت يملأ أرجاء الجزيرة العربية.

إن هذا الخلاف في ادّعاء كل من النسابين من مضر وقحطان بالحاق هذه القبائل بهم تظهر المكانة الكبيرة التي كانت لهم، وتلقي الأضواء على بعض الأحداث التي سترد في الفصول القادمة، وان كانت المصادر التاريخية، عندما تتكلم عن الأحداث في العصر الأموي، تدخل قضاعة ضمن اليمن.

---

(٧٦) الأغاني، ج ٩ ص ٣١٤.
(٧٧) البلاذري، أنساب، ج ١ ص ٢٣، ابن عبد البر، الأنباه، ص ١٠٤.